الكبرى في فلسطين (١٩٣٦ ــ ١٩٣٩) . ولكن ، حتى ذلك الوقت ، كان المفتي قد استغل نفوذه وصلاحياته ، بموجب منصبيه ، لتجميع الانصار حوله بشكل جعله اقوى رجل في فلسطين ، مما ساهم في توسيع رقعة الخلاف مع المعارضة ومؤيديها ، وادى الى فقدان أي امل في التوفيق بين الطرفين . وانعكس هذا الخلاف الشديد سلبا على القضية الفلسطينية .

الكتاب الابيض سنة ١٩٢٢

على الرغم من انهماك الفلسطينيين ، في مطلع سنة ١٩٢٢ ، في الصراع على انتخابات المجلس الشرعي الاسلامي الأعلى ، وجدت الزعامة الفلسطينية متسعا من الوقت لارسال وفد اخر من قبلها الى بريطانيا ، للتباحث مع حكومتها . ووصل الوفد الى هناك في الوقت الذي كانت وزارة المستعمرات تعمل فيه على تحديد اسس السياسة البريطانية بشأن فلسطين (وهي تلك التي تضمنها الكتاب الابيض الذي اصدره وزير المستعمرات تشرشل في ٣ حزيران ١٩٢٢) . وحال وصول الوفد الى لندن ، دخل في « المفاوضات » مع وزارة المستعمرات ، على شكل مذكرات متبادلة بين الطرفين ، كان هدف الوزارة منها حمل الوفد على القبول بأسس السياسة البريطانية المقترحة . واستمرت هذه المراسلات نحو ٣ اشهر[٨٥] ، رفض الوفد في نهايتها القبول بالمقترحات التي قدمت له من قبل الحكومة ، وفحواها القبول بوعد بلفور « مخفف » ، ودعا بريطانيا ، بدلا من ذلك ، الى العمل على تأمين مصالح سكان فلسطين المدنية والسياسية والاقتصادية ، وذلك باقامة حكومة وطنية فلسطينية مستقلة ، تتعهد بالحفاظ على الحقوق المشروعة للأجانب والاقليات والدولة المنتدبة[٨٦] . الا ان الحكومة رفضت طلب الوفد ، موضحة في مراسلاتها معه ، بعد ان حاولت الطعن في شرعية تمثيله عرب فلسطين ، انها لا تنوي « التراجع عن تعهدها ... امام الشعب اليهودي »[٨٧] ، وان اقامة حكومة وطنية في فلسطين « ستمنع تنفيذ ذلك التعهد »[٨٨] الذي نص عليه وعد بلفور . كما اعتبرت الحكومة البريطانية ان « مسألة الغاء وعد بلفور غير واردة اطلاقا .... ولا فائدةمن بحث السياسة المترتبة على التعهدات »[٨٩] ، الواردة في ذلك الوعد . ولهذا نصحت الوفد بأن يتخذ « موقفا بناء » وان يركز جهوده في بحث « الضمانات »[٩٠] التي قد يحتاجها العرب الفلسطينيون في ظل تنفيذ مشروع الوطن القومي .

وفيما كانت المفاوضات بالمراسلات ، بين الحكومة البريطانية والوفد الفلسطيني ، تشرف على نهايتها ، وصل الى لندن ، في أيار ١٩٢٢ ، هربرت صموئيل ، وفي نيته حمل حكومته على اصدار بيان واضح بشأن سياستها في فلسطين ، بعد شعوره بأن من الضروري القيام بذلك « بعد تجربة سنتين »[٩١] في البلد . ولم يضع صموئيل وقتاً طويلاً لتحقيق هدفه : فحتى الرابع والعشرين من الشهر نفسه ، انهى وضع مسودة بيان ، وعرضه على تشرشل ، الذي وافق عليه بعد ثلاثة ايام ، بدون تعديل او اضافات[٩٢] (وهو البيان نفسه التي صدر فيما بعد تحت اسم الكتاب الابيض) . وفي الثالث من الشهر التالي ، أرسلت الحكومة البريطانية نص البيان المقترح الى المنظمة الصهيونية ، طالبة منها تعهداً صريحا بقبوله والعمل بموجبه[٩٣] . كما أرسلت نسخة مماثلة الى الوفد الفلسطيني ، مرفقة بالطلب نفسه .

وفي رده ، تمسك الوفد الفلسطيني بموقفه السابق الرافض للمقترحات البريطانية[٩٤] ،